

ترميم ذاكرة رجل مسن.. وحقيقة أولى ثورات مصر



بآخرين كثر كتبوا حول دور «محمد نجيب» وريادته وقيادته للحركة التي سُميت «ثورة».. ولعل هذه الفقرة من كتاب.. «محمد نجيب زعيم ثورة أم واجهة حركة» للدكتور «رفعت يونان» كافية لنصب خيمة الحقيقة، وهي فقرة انتخبها من شهادة لـ جمال عبدالناصر نفسه في «محمد نجيب».. يقول جمال عبدالناصر في خطابه الذي ألقاه بمناسبة زيارة محمد نجيب لمسقط رأس «عبدالناصر» مدينة «بني مرة» في الصعيد: «.. أننا أمنا بك فقد حررتنا من الفزع والخوف، وأمنا بك مصلحا لمصر ونذيرا لأعدائها.. سيدي القائد، سر ونحن معك فقد حفظنا أول درس لثقتنا إياك.. إن مصر كلها تتناصر للقضاء على قوات الاحتلال!» أما «أنور السادات» فقد جعل «محمد نجيب» على رأس أعظم عشرة رجال في العالم في استفتاء أجرته مجلة المصور عام 1953. وكذلك يورد الدكتور «يونان» شهادات أخرى لبعض الضباط الأحرار أنفسهم، مثل جمال حماد وخالد محيي الدين ويوسف صديق، يتحدثون خلالها ويصدق عن دور «محمد نجيب» وقيادته لهذه الحركة.. والشهادات جميعا تؤكد زعامة نجيب ولا تذهب إلى ما ذهب إليه الدكتور «بدران» بل إنها تناقض ما قاله عن «شكلية» أو «ديكور» محمد نجيب في حركة 1952، وأولئك يا سيدي شهود من أهلها وليسوا رواة أخبار ولا محدثين بحوادث «معتوها» عن فلان وعن فلان.. ولست هنا بغتار على «محمد نجيب» ولكنني غيور على الحقيقة وحرصى على الالتزام بها من قبل من نحسبهم أساتذة لنا ومعلمين.

□ □ □
وحدث السهو يطول.. ولنا - يا سيدي - آذان وعيون، وذاكرات لم تزل تحمل زاد أزمته عاشتها وأحداث وعتها.

في حديث الدكتور بدران عن الوحدة بين مصر وسورية - فبراير عام 1958 - بدا وكأننا القرارات الاشتراكية الناصرية ولدت مع هذه الوحدة! أما عن مسيرات فشل الوحدة فقد نسبها الدكتور إلى وجود «السلطة الكبار» الذين كانت تتداول بينهم «رئاسة الجمهورية السورية»!

ويؤسفني أن أقول إن الدكتور الفاضل جانبه الصواب ووقع في خطأ كبير، فلم يكن هناك «سلطة كبار» يتداولون الجمهورية السورية.. وكل ما في الأمر كان «شكري القوتلي» وهو أول رئيس للجمهورية السورية بعد الاستقلال السوري عام 1943، وهو الذي وقع اتفاق الوحدة مع «عبدالناصر» بإرادته، وهناك أيضا هاشم الاتاسي والذي ترأس لفترة قصيرة.

والجمهورية في سورية آنذاك كانت وليدة ولم تسبق أختها المصرية إلا بسنوات ولم يتداول عليها بعد القوتلي إلا انقلابيون مثل «حسني الزعيم» و«أديب الشيشكلي» و«سامي الحناوي» وقد كانوا حينها في ذمة التاريخ بين موت وتشريد.

ويبدو أن الدكتور الفاضل خلط بين «الشركة الخماسية» وهي من أعمدة الاقتصاد السوري آنذاك وبين «السلطة الكبار»! أما فيما يخص القرارات الاشتراكية فقد ولدت في صيف عام 1961 وبعد مرور ثلاث سنوات على قيام الوحدة ولم تولد معها، حيث أصدر «جمال عبدالناصر» رئيس الجمهورية العربية المتحدة ما سمي بالقرارات الاشتراكية والتي بناء عليها قام بتأميم الممتلكات الخاصة وقيد الاقتصاد وكيل السوق بقرارات غير واقعية وهي القرارات التي سببت بلاء أحمر لمصر لم تتعاف منه حتى الآن..

وبما أن الوحدة قائمة بين البلدين فإن سورية مشمولة بالطبع بتلك القرارات التي سببت صدمة للمصريين والمصريين على السواء، وتأتي «الشركة الخماسية» السورية، على رأس المتضررين من التأميم وهي شركة معروفة حينذاك وتمثل ذراعا اقتصادية قوية وممتدة.

ولقد صدرت هذه القرارات في يوليو من ذلك العام وفي مناسبة أعياد الثورة والتي اعتاد «عبدالناصر» أن يقدم قراراته أثناءها كـ «هدية» للشعب مثلما عمل سنة 1956 حين أمم قناة السويس وسبب وقوع «العدوان الثلاثي» الذي كاد يؤدي إلى احتلال مصر لولا تدخل أميركا وروسيا لصالح عبدالناصر.

ولم يمض سوى شهرين على صدور تلك القرارات الاشتراكية حتى تم الانفصال في سبتمبر 1961.

وكان من ضمن الأسباب التي ترددت حينها عن الانفصال هو ضلوع «الشركة الخماسية» فيه تخلصاً من قرارات التأميم التي طالتها، فضلا عن التعسف والتسلط اللذين مارسهما «عبدالناصر» على الشعب السوري.

هذا ياسيدي الكريم كل ما في الأمر وليس فيه من أثر لـ «سلطة كبار».. □ □ □

ولقد شغلت قضية بناء السد العالي الرأي العام المصري والعربي والدولي بحيث كانت حديث القاصي اللاهي والداني المهموم.

ولكن وكما يبدو فإن الدكتور «بدران» لم يكن من هذا الداني ولا ذاك القاصي، فقد كان يجهل تاريخ بناء السد العالي، وإن كان الدكتور لم يحدد تاريخ بناء السد فإنه يفهم من سياق كلامه وكأننا السد العالي قد تم البدء في بناؤه عام 1964 بينما الحقيقة أن ذلك قد تم عام 1960 وبحضور الزعيم السوفيتي «خروتشوف»!

فكيف تسفوت هذه المعلومة السهلة والبسيطة على أستاذنا



• بقلم: صالح الشايحي
katebkom@gmail.com

الإفتاء بغير علم لا يليق برجل علم وسياسة وإنما برجل الشارع

محمد نجيب لم يكن واجهة لـ «الثورة»

لماذا أصبح أول رئيس للجمهورية المصرية من بين أفضل 10 رجال في العالم؟

إبراهيم بدران يجهل تاريخ بناء السد العالي

تذبح إحدى الفضائيات المصرية برنامجا ضاحكا ظريفا اسمه «ما تفتيش» أي «لا تُفتت». وتقوم فكرته على أن تتجول مقدمته في الشوارع وتنتقي ضيوفها من المارة والعابرين، حيث تقوم بطرح أسئلة بمعلومات مغلوطة على ضيفها ولكن بطريقة جادة بحيث لا تترك للضيف البسيط فرصة للإفلات أو حتى لا يظهر جهله. وكمثال على ذلك كانت تسال ضيوفها هذا السؤال: معروف أن فرنسا كانت في مصر، فأين كان موقعها قبل أن يأخذها الفرنسيون إلى فرنسا؟

ويجتهد الضيوف في الإجابة بين قائل إنها كانت في «الجنالية» وآخر يقول «إمبابة» وهما منطقتان شعبيتان تقعان في القاهرة.. والبعض منهم يبدأ باستعراض معلوماته التاريخية الجمعية ويستطرد في الشرح والتفصيل و«يثري» الموضوع بمعلومات جديدة.. لا أساس لها من الصحة.. ولا شفاء لها من الملته.

وفي نهاية البرنامج تقوم المذيعبة بتوضيح الحقيقة لضيوفها قائلة لهم إن الأمر لم يكن يتعدى المزاح والمداعبة والضحك، ناصحة ضيوفها بعدم الإفتاء بغير علم، وليس عيبا أن يعتذر الإنسان في حال عدم معرفته بالأمر الطروح أو بالسؤال الوجه إليه.

□ □ □
ومعروف عن الإخوة المصريين حبهيم للمساعدة، خصوصا للشخص الغريب أو للضيف، ويعتقدون أن الاعتذار وعدم الإجابة نوع من التقتير بحق الضيف وبالذات إذا ما كان سؤال الضيف يتعلق بمعرفة عنوان أو شارع ما.

ويحكي أحد الأصدقاء ولتأكيد هذا الأمر أو للتحقق من هذه الطبيعة المصرية الطيبة، أنه كان وأصدقاء له يمشون في أحد شوارع القاهرة وهم في سيارتهم، فتوقفوا عند أحد الأشخاص يسألونه عن عنوان شارع يحمل اسم أحد الأشخاص، فلم يتوان في مساعدتهم وقام بالتوصيف الدقيق لموقع الشارع مبدئا بالطريقة المصرية المحببة «بص سيادتكم.. تمشي طوالي.. تسبب أول يمين وتاني يمين.. وتخش تالت يمين.. هو ده الشارع اللي بتسال عليه حضرتك.. ولا ينسى أن يختم هذا اللقاء العابر بالجملة المعهودة والتي أيضا تدل على طيبة «ما تتفضلوا تشربوا الشاي معنا»..

المهم في هذه القصة أنه ليس هناك أساسا لشارع بالاسم المذكور، لأن هذا الاسم الذي زعموا أنه اسم لشارع لم يكن سوى اسم الشخص السائل نفسه.

□ □ □
إن كان الإفتاء بغير علم، يليق برجل الشارع والإنسان البسيط فإنه بالتأكيد لا يليق برجل علم وسياسة ووزير سابق وعضو في الجمع الإسلامي. أعني بذلك - وأنا كلفي أسف - الدكتور إبراهيم بدران الوزير المصري السابق والجراح الكبير والذي خاضته معرفته وربما ذاكرته فأدلى بمعلومات خاطئة في لقاءه الموسع مع «أمم المسلماني» في برنامج بثته قناة «دريم» المصرية.

وأنا من محبي مثل هذه اللقاءات التي يكون ضيوفها من الشخصيات الكبيرة ونادرة الظهور على الفضائيات وذات التجربة الطويلة في العمل العام.. وأتابعها كلما عبرت أمام عيني ميثومة من إحدى الشاشات، لأنني أتعلم منها كثيرا وتفتح أمامي كنوزا من المعرفة لن تتحقق لي إلا من خلال مثل هذه الشخصيات، فضلا عن أنها تفتح لي صفحات الذكريات، وقد صرت في عصر يتذكر.. أو بالكاد يتذكر.. عمر بات أبيض أملس.. يشده الماضي ويصدّه الحاضر.

ولكنني صدمت وأسفت لأن نافذة المعرفة التي اعتقدت أنها انفتحت أمامي لم تحمل لي سوى أسف على رجل توقعته فيه الثراء المعرفي واكتناز الأسرار في عالم السياسة والمعرفة.. فلم تواتني منه تلك الريح الطيبة، بل حملني هو مسؤولية تطبيية ومدادوا ما انجرح من حصيلة معارفه.

□ □ □
وليسمح الدكتور الفاضل الخلق بأن أقوم ويخجل بالغ بذلك التطبيب. وقالوا قديما «طبيب يداوي الناس وهو عليل»!

فأنا العليل يا سيدي وأنت الطبيب.. □ □ □

ففي لقاءه ذلك.. تحدث الدكتور «بدران» عن «محمد نجيب» أول رئيس للجمهورية المصرية وقائد حركة 1952 التي أسقطت الملك فاروق.. وبعد أن امتدح طيبة نجيب وبساطته، قال إن «الضباط الأحرار» قد جاءوا به ليكون مجرد واجهة لـ «ثورة».

هكذا - مع الأسف - تحدث الدكتور بدران.. وهذا - لعمرى رأي العوام.. تقول به العامة والدعاهم والفارشون أجسادهم على كراسي المقاهي.. ولا يليق بمن هو بمنزلة الدكتور «بدران» أن يكون رأيه من آرائهم ولا معلوماته بمثل معلوماتهم.

□ □ □
وسيسئني أن الدكتور الفاضل قد استقى رأيه هذا أو معلوماته من رجل الشارع البسيط ومما تكتبه الصحف الطائرة أو السيارة، ولم يُجهد نفسه في قراءة التاريخ الحقيقي لحركة 1952 ودور محمد نجيب فيها وهو دور الرأس من الجسد.

□ □ □
ولن استشهد هنا بكتاب «محمد نجيب» نفسه رغم ما ما امتلا به من وثائق وشهادات وحقائق تزيل عن كل ملطن أو شك، ولكنني أستشهد

الدكتور «بدران»؟ □ □ □

وما يلي من كلام الدكتور بدران يستحق الإلغاء الكامل مع كامل احترامي لشخصه الكريم.

ففي معرض «توثيقه» للأحداث قال الدكتور «بدران»: إن «ياسر عرفات» طلب من جمال عبدالناصر هكنا وفجأة أن يرفع يده عن القضية الفلسطينية، ليتحالف بعدها «عرفات»، مع ملك الأردن «حسين»!

ويضيف: رغم أن عبدالناصر هو مفكر الثورة الفلسطينية.. إلخ.. هكذا وفجأة.. يطلب عرفات من عبدالناصر رفع يده عن قضية هو لا يملكها عجب.. حقا عجب!

القضية ليست بهذه البساطة يا سيدي الدكتور، والقضية تعود إلى قبول عبدالناصر بما سمي بمشروع «روجرز» والذي ينص على اعتراف صريح بإسرائيل.

□ □ □
وكان قبول عبدالناصر بهذا المشروع قبلة انفجرت في الفضاء العربي وفي ساحة القضية الفلسطينية، وسبب شرخا عميقا في العلاقات العربية وهمم ركتنا من الثوابت القومية، وأدى إلى إسائة العلاقات الفلسطينية مع عبدالناصر حيث اعتبر الفلسطينيون قبول عبدالناصر بمشروع روجرز خيانة للقضية الفلسطينية وتخلياً عنها وكان للقوميين العرب موقف مماثل، وتقوضت بذلك الخيمة الناصرية التي كانت تظلل القومية العربية والقوميين العرب، وصارت أجهزة عبدالناصر البوليسية تطارد القوميين وتمنع دخولهم مصر.

□ □ □
وفي تلك الأثناء كان مقر القيادة الفلسطينية في الأردن، ومنذ نكسة 1967 وليس كما قال الدكتور بدران إن عرفات وبعد أن طلب من عبدالناصر أن يرفع يده عن القضية الفلسطينية ذهب إلى الملك حسين وتحالف معه!

□ □ □
وحدثت مناوشات بين الفلسطينيين والحكومة الأردنية وصلت في أقصاها إلى حرب طاحنة سميت بـ «أيلول الأسود» عام 1970 ما أدى إلى الدعوة إلى عقد قمة عربية في القاهرة، وكانت حياة «عرفات» في خطر نتيجة هذه الحرب، فقامت القمة العربية بإرسال وفد منها إلى الأردن بغية تخليص «عرفات» وجلبه إلى القاهرة، وكان الشيخ سعد عبداللّه وزير الداخلية والدفاع الكويتي في حينها أحد أعضاء الوفد وهو الذي جازف بحياته وأخرج «عرفات» حين اليسه «بسته» - عباءته - وأخرجه على أنه أحد أعضاء الوفد الكويتي.

□ □ □
ولكن الدكتور بدران يروي الرواية - وبحسن نية - بصورة أخرى حيث يقول: إن عبدالناصر كلف المخابرات المصرية بالقيام بعملية إنقاذ «عرفات».

□ □ □
وتسكنت المخابرات المصرية من إنقاذه وإخراجه سالما من الأردن بعدما ألبسته «عباءة نسائية»!

□ □ □
لسم أكن - وربي - متصدبا لفوات، ولا متربصا لسقطات، ولا متتبعا لزلزلات، ولكننا أردت أن يكون للحقيقة صوت يسمع.. ولا أزعم أنني - بما كتبت - صرت ذاك الصوب المطرب.. بل هي محاولة مني لتعليق جرس في رقبة الحقيقة.. عله يسمع فيدل عليها.

